والارض على الما فاخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما وعلا عليه فايبس الما فجعله ارضا واحده
ثم فتقها فجعلها ارضين ثم خلق السما من الدخان المرتفع ومعنى امر السما والارض الاتيان وامتثالها
انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه
فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على
ان الله تعالى كلم السما والارض وقال لهما ايتيا شيتما او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على
الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق شي من الخطاب والجواب
ونحوه قول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد اسال من يدقني ولم يتركني ورآي الحجر
الذي ورآي فان قلت لم ذكر الارض مع السما وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقه
قبل السما بيومين قلت قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السما كما قال
والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف ايتي
يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سما مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول
والوقوع كما تقول اتى فله مرضيا وجا مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات كل واحده منكما صاحبتها
الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسما والسما سقفا للارض وينصره
قراه من قرا اتيا وايتيا من المواتاه وهي الموافقه اي لتوات كل واحدة اختها ولتوافقها
قالتا وافقنا وتساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيتي ولا تمتنعا فان قلت ما معنى طوعا او كرها
قلت هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن
تحت يده لتفعلن هذا شيت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين
او مكرهتين فان قلت من تاثير قدرته محال هلا قيل طايعتين على اللفظ او طايعات على
المعنى لانها سموات وارضون قلت لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع
والكره قيل طايعين ونحوه المجاز بحل خادمه ويجوز ان يكون خبرا منهما مفسر السبع سموات
والفرق بينهما بين النصبين ان احدهما على الحال والثاني على التمييز قبل خلق السموات وما
فيهما في يومين في يوم الخميس ويوم الجمعه وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعه فخلق فيها ادم عليه
السلام وهي الساعة التي تقوم فيها القيامه وهذا دليل على ما ذكرت من انه لو قال في يومين في
موضع اربعة ايام سوا لم يعلم انهما يومان كاملان او ناقصان فان قلت فلو قيل خلق الارض
في يومين كاملين وقدر فيها اقواتها في يومين كاملين او قيل بعد ذكر اليومين تلك اربعة سوا
قلت الذي اورده سبحانه اخصر وافصح واحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصات القرايح ومصاك
الركب ليتميز الفاضل من الناقص ويرتفع الدرجات ويتضاعف الثواب امرها ما امر به فيها
ودبره من خلق الملايكه والنيران وغير ذلك وشا بها وما يصلحها وحفظا وحفظناها حفظا يعني
من المسترقه بالثواقب ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا
فان اعرضوا بعدما تتلوا عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم ان تصيبهم صاعقة اي عذابا

شديد

شديد كانه صاعقة وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال
صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل من بين ايديهم ومن خلفهم اي اتوهم
من كل جانب واجتهدوا بهم واعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله
عن الشيطان لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم لاتينهم من كل جهة ولاعملن فيهم كل حيلة وتقول
استدرت بفلان من كل جانب فلم تكن لي فيه حيلة وعن الحسن انذروهم من وقايع الله فيمن
قبلهم من الامم وعذاب الاخره لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاوهم بالوعظ من جهة الزمن
الماضي وما جرى فيه ومن جهة المستقبل وما يجري عليهم وقيل معناه اذ جاتهم الرسل من قبلهم
ومن بعدهم فان قلت الرسل الذين من قبلهم والذين من بعدهم كيف يوصفون بانهم جاوهم وكيف
يخاطبونهم بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون قد جاهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع
الرسل ممن جا من بين ايديهم من قبلهم ومن يجي من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل جميعا قد
جاوهم وقولهم انا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولساير الانبيا الذين دعوا الى الايمان
بهم ان في ان لا تعبدوا بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا بان الشان والحديث قولنا لكم
لا تعبدوا ومفعول شا محذوف اي لو شا ربنا ارسال الرسل لانزل ملايكه فانا بما ارسلتم به كافرون
معناه فاذا انتم بشر ولستم ملايكه فانا لا نومن بكم وبما جيتم به وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالا
وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وروي ان
ان ابا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانه
والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة ابن ربيعه والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب
انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسه عقدنا لك اللوا فكنت
رييسنا وان بك الباه زوجناك عشر نسوه تختارهن اي بنات قريش شيت وان بك
المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال
بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا
فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات فغضب واقسم ان لا
يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانه ولا
سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت فيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا
اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاستكبروا في الارض اي تعظموا فيها
على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوه وعظم الاجرام اي استعلوا في الارض
واستولوا على اهلها بغير استحقاق للولايه من اشد منا قوة كانوا ذوي اجسام طوال
وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)